الحرب الكبرى ومن المسؤل عنها

٢

وصلنا في مقتطف ابريل الى اجتماع رؤساء اركان الحرب الثلاثة واتفاقهم على الاشتراك في الحرب . ولما عاد كنراد الى بلاده وحضر استعراض الجيش في بوهيميا رأى من الارشديوق فرنز فرديننند شيئاً من الفتور في معاملته لهُ فاستعفى من رآسة اركان الحرب ولكن الارشديوق اعتذر اليهِ وطلب منهُ ان يستمرَّ في منصبهِ ولو الى الربيع (سنة ١٩١٤)

وكان قد تمَّ الاتفاق بين ملتكي وكنراد على ان جيوش النمسا والمجر تقابل الجيوش الروسية وتساعدها المانيا باثنتي عشرة فرقة الى اربع عشرة حسب مقتضى الحال تبعث بها المانيا الى شرقي بروسيا. وعلى النمسا حينئذٍ ان تتخذ خطة الهجوم في شمال كربانيا وتبذل جهدها في صد جيوش روسيا الى ان يصل المدد الالماني الى المكان المعد لهُ

وكتب ملتكي الى كنراد يقول انهُ رأى الجنرال زُكاري الذي كان معيناً لقيادة الجيوش الايطالية في المانيا اذا نشبت الحرب فقال لهُ انهُ واثق أن ايطاليا تقوم بما يجب عليها اذا وقعت الحرب . فاجابهُ كنراد انهُ اذا كان الامر كذلك فهذا يسهِّل على المانيا ان ترسل بعض جيشها الذي يقوم الجيش الايطالي مقامهُ ليساعد الجيش الذي يرسل الى شرق بروسيا. لكن ملتكي لم يكن ليسلك هذا المسلك فاجابهُ ان المانيا مضطرة ان تبدأ بمحاربة فرنسا كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدتها ولكن حالما تصل الجنود الايطالية ترسل المانيا جانباً من جيشها من الغرب الى الشرق . ثم قال

اما الجيش الايطالي فلا يكون مستعدًّا الاَّ في اليوم الثاني والعشرين بعد التعبئة فلا نستطيع ان نؤخر هجومنا على فرنسا انتظاراً لهُ ولكنني ارجو اننا نستطيع حينئذٍ ان نجد سبيلاً للبت في هذه المسألة الهامة . ولا نعلم الآن هل تستطيع الجيوش الايطالية ان تصل بقطاراتها الى المحطات التي يراد وصولها اليها او تضطر ان تنزل في محطات اخرى قبلها بسبب اتخاذ الجيوش الفرنسوية خطة الهجوم. و يا حبذا لو استطاعت الجيوش الايطالية ان تقدم وصولها خمسة ايام ولكننا يجب ان لا نعتمد على الاماني بل نقابل الامور كما هي ونشرع في الحرب كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدتنا ولذلك لا

نستطيع ان نغير خطتنا ولكنني اؤكد لك اننا نرسل بعض جنودنا الى روسيا حيثما تصل الجنود الايطالية

وذهب ملتكي في ابريل سنة ١٩١٤ الى كارلسباد للاستشفاء على مجاري عادته ودعا كنراد لكي يزوره فيها فاجابهُ ان لا شيءَ احب اليهِ من التحدث معهُ ولكن الجرائد كانت لهُ في المرصاد ولا بدَّ لهُ من استئذان الامبراطور اولاً . ثم زار ملتكي في ١٢ مايو وعاد مسروراً بما تمَّ الاتفاق عليهِ من نجدة الجيش الالماني .ولم يكتب ملتكي شيئاً في هذا الموضوع ولكن كنراد كتب ما يأتي « نرجو ان نقضي على فرنسا في الاسابيع الستة الاولى من الحرب او نكون قد تقدمنا في فوزنا عليها تقدماً يبيح لنا ان نحوّل اكثر قوانا الى الشرق »

وكان المنتظر ان يقر القرار النهائي في صيف سنة ١٩١٤ ولكن حدث في النمسا قبل ذلك ما عقَّد المسألة فان الارشدبوق فرنز فرديناند قُتل في مدينة سراجيفو في ٢٨ يونيو فبلغ الحنق على الصرب اشدَّهُ وفي الثاني من يوليو توفي الجنرال بوليو رئيس اركان الحرب الايطالي الذي كان اكبر مؤيد للحالفة الثلاثية وكانت رومانيا قد زادت بعداً عن الحالفة الثلاثية . وكتب ملتكي حينئذٍ قاطعاً الرجاء من الجيش التركي اذ قال

« لا قيمة حربية لتركيا فان تقاريرِ بعثتنا الحربية لا تبقي محلاً للامل فالخلل في الجيش التركي يفوق الوصف . ان من كان يلقب تركيا بالرجل المريض يجب ان يلقبها الآن بالرجل المحتضر . وبعثتنا الحربية تشبه طبيباً واقفاً امام سرير مريض مدنف لا يرجى لهُ الشفاء »

فماذا تستطيعهُ النمسا في هذه الحال هل يصح لها ان تخاطر باثارة حرب اوربية بالهجوم على الصرب وهل من مصلحتها ان تقدم على ذلك

في الخامس من يوليو قال كنراد لامبراطورهِ انهُ لا بدَّ من محاربة الصرب اذا اريد ان تبقى الجر متحدة بالنمسا . فاجابهُ الامبراطور انهُ لا بدَّ لهُ اولاً من الوقوف على رأي المانيا . فارسلت النمسا تطلب رأي المانيا ولكن الامبراطور ولهلم كان قد ذهب الى نروج ولا بدَّ من تأخير الجواب وفي السادس من يوليو جاء الجواب لامبراطور النمسا ان امبراطور المانيا مستعد شخصيًّا ان يؤيد النمسا ولكن لا بدَّ لهُ من ان يستشير وزير الامبراطورية . وفي السابع من يوليو عاد رسول النمسا الكونت هويدس من المانيا

مؤكداً انها تحارب مع النمسا سواء كانت الحرب صغيرة ام كبيرة وانها تشير على النمسا ان تهاجم السرب حالاً

واجتمع وزراء النمسا والمجر في ٧ يوليو ووافقوا كلهم ما عدا الكونت تسزا وزير المجر على مناجزة السرب وهم يعلمون ان ذلك قد يؤدي الى حرب عمومية لانهم وثقوا حينئذٍ ان المانيا تؤيدهم تأييداً مطلقاً من غير قيد. اما الكونت تسزا فقال ان اثارة هذه الحرب يحرج موقف النمسا والمجر امام دول الاوض وفوق ذلك فهو غير واثق ان الفوز يكون للحالفة الثلاثة في حرب اوربية

وفي الثامن من يوليو تقرر ارسال البلاغ النهائي الى السرب في ٢٢ يوليو وطُلب من كنراد ان يستعد لاحتلال السرب معاً كان جوابها للبلاغ . وطُلب منهُ ومن وزير الحربية ان يذهبا بالاجازة حالاً اخفاء للحقيقة

وكان كنراد يظن ان تضامن المانيا مع النمسا والمجر كافٍ لمنع الحرب . وكان ملتكي يثق بالجيش الالماني ثقة كبيرة و يعتقد ان ايطاليا لا تنفصل عن الحالفة الثلاثة واذا لم تفصل فالمرجح ان الفوز يبقى للمانيا . وقبل التعبئة بيوم بلغ الامبراطور وللم ان فرنسا قد تبقى على الحياد فالتفت الى ملتكي وقال لهُ اذاً سيكون زحفنا كلهُ شرقاً فقال ملتكي لقد وضعنا خطة الزحف ولا يمكن تغييرها فقال لهُ الامبراطور ان عملك ما كان يجب بمثل هذا الجواب

وسُلم البلاغ النهائي للسرب بعد ظهر الثالث والعشرين من يوليو وتوالت الحوادث على الخط التالي

٢٣ يوليو أُرسل البلاغ النهائي الى السرب

٢٥ « امرت السرب بالتعبئة العامة

٢٦ « امرت النمسا بالتعبئة الجزئية

٢٨ « اعلنت النمسا الحرب على السرب

٣١ « امرت روسيا بالتعبئة العامة وامرت النمسا بالتعبئة واعلنت المانيا بان الحرب مع روسيا على الابواب

١ اغسطس امرت المانيا بالتعبئة العامة

٣ « بعثت المانيا بلاغاً نهائياً الى بلجكا و بدأت المناوشات بين المانيا وفرنسا

٣ اغسطس رفضت بلجكا بلاغ المانيا واعلنت المانيا الحرب على فرنسا وامرت بريطانيا بالتعبئة العامة واعلنت ايطاليا حيادها

٤ « اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا واعلنت المانيا الحرب على بلجكا

٥ « اعلنت النمسا الحرب على روسيا

وكان غرض كنراد ان تكون الحرب محصورة في الصرب حتى يقضي عليها حالاً فترى دول اوربا انهُ قضي الامر فلا يبقى محل لاعتراضها لانهُ لم يكن للنمسا رغبة في حرب عامة ولذلك لم يفعل شيئاً لحمل روسيا على الحرب . اما المانيا فلم يكن من غرضها حصر الحرب في الصرب بل كان غرضها قهر فرنسا وكان ملتكي يحسب ان يتم الفوز على فرنسا قبلما تتم روسيا تعبئتها وزحفها فلا يبقى لها سبيل للزحف و يرى ان المانيا لا تستطيع ان تثير حرباً عمومية ما لم تقنع شعبها بلزوم ذلك وهذا الاقناع لا يقع الاَّ اذا ثبت الحرب بين النمسا وروسيا فتضطر المانيا حينئذٍ ان تدافع عن حليفتها. ولما رأى ان النمسا مترددة عزم على انهاضها للعمل . فارسل الملحقُ الحربي النمسوي في برلين الى كنراد في ٣٠ يوليو بعدما قابل ملتكي تلغرافاً يقول فيهِ

ان تعبئة روسيا لا توجب التعبئة هنا وانما تجب التعبئة متى ثبتت الحرب بين النمسا وروسيا ولذلك لا تعلن المانيا الحرب على روسيا بل تنتظر هجوم روسيا

فارسل كنراد تلغرافاً الى ملتكي ذلك اليوم يقول فيهِ

انا لا نعلن الحرب على روسيا ولا نشرع فيها

فاجابهُ اليهِ ملتكي في الليل يقول

لا تزال التعبئة في روسيا مضطردة فيجب على النمسا ان تزحف حالاً على روسيا وستزحف المانيا و يمكن ابقاء ايطاليا في الحالفة اذا كوفئت

وتوسَّع الملحق الحربي في هذا الموضوع فابرق الى كنراد يقول ان ملتكي يحسب الموقف خطراً اذا كانت النمسا لا تزحف حالاً على روسيا فان روسيا عبأت جيشها فصار من الواجب على النمسا ان تقابلها بالمثل وهذا يوجب على المانيا ان تنصر النمسا . ثم يمكن الاتفاق مع ايطاليا بمكافأتها مكافأة شريفة لكي تبقى في الحالفة الثلاثية ولا داعي لارسال جيش الى الحدود الايطالية وقد رفضت انكلترا الوسائل التي كونت لحفظ السلم . ولابد للنمسا من الاشتراك في الحرب الاوربية لان في هذا الاشتراك رجاءها الاخير . والمانيا معنا من غير قيد ولا شرط

وعرض كنراد هذه التلغرافات على مجلس من ساسة النمسا صباح ٣١ يوليو فوافقوا عليها وطلب من الامبراطور ان يأمر بالتعبئة العامة الاَّ ان ايطاليا بعثت التلغراف التالي وهو:

من حيث ان المحالفة الثلاثية هي محالفة دفاعية . ومن حيث ان الوزارة النمسوية اثارت حرباً اوربية بمعاملتها العنيفة للسرب وفوق ذلك لم تستشر الحكومة الايطالية في ذلك قبل حدوثه فايطاليا غير مضطرة الى الاشتراك في هذه الحرب

وصدر الامر بالتعبئة العامة في النمسا ظهر الحادي والثلاثين من يوليو وجاءت الاخبار الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ ان المانيا اعلنت ان الحرب على روسيا دنت . وبقي ملتكي يحسب ان قنصل النمسا ليس فيه الشدة اللازمة فاورق الى كنراد تلك الليلة يقول اتركنا النمسا في المأزق . فأسقط في يد كنراد وكتب الى ملتكي تفصيلاً سهباً شرح فيه سبب تمهل النمسا واكد له انها لا تخل بمعاهداتها

وظهر للنمسا حينئذٍ ان الامور لم تأتِ على مرامها فان ايطاليا تخلت عنها وقد تُخفذ خطة العداء و بلغاريا ابت مناوأة السرب ورومانيا ياتت كن يحاول الحرب . وان الحرب ستكون عامة . واوجس امبراطور النمسا شرًّا واعرب عن ذلك بقوله اذا كان لابدَّ من القضاء على بلادنا فلتمت رجالاً

وفي الخامس من اغسطس كتب ملتكي الى كنراد معلناً وصول كتابه اليه وشكره شكراً جزيلاً بقوله

« لم اكن في حاجة الى ما اكدته لي ايها الاخ العزيز وهو ان النمسا لا تخون عهودها انهُ لاسهل عليَّ ان ارتاب في الله من ان ارتاب في صدق اليمين التي حلفناها بعضنا لبعض. ان دخولنا البلجيك فظيع بلا شك ولكننا نحارب لاجل حياتنا وكل من يقف في طريقنا يجب ان يتحمل نتيجة عمله . ان هذه الحرب قد نخسر بها اسطولنا ولكن انتهاء الحرب في البر . ان الايطاليين لا يحتمل ان تبلغ منهم الدناءة حتى يطعنوكم من ورائكم . دعوا البلغار تهاجم السرب وليتهش بعضهم بعضاً . اما نحن الآن غرض واحد اطرحوا الروس اصحاب الوهق في المستنقعات وفرّ قوم

وفي التاسع من اغسطس اكد ملتكي لكنراد انهُ بُذلت كل الوسائل لابقاء ايطاليا على الحياد فلم تفلح فانها تهمة قاصمة الالتهام وتأبى ان يصرفها احد عن عزمها

ثم سار كلٌّ من ملتكي وكنراد الى ميدان القتال . اما كنراد فبقي في رأسة اركان الحرب الى نهايتها واما ملتكي فلم يبقَ فيها الاَّ شهراً واياماً ثم عاد الى المانيا مريضاً

منهوك القوى ومات فيها . والظاهر ان ضميرهُ نخسهُ قبل وفاتهِ فانهُ كتب في ٩ سبتمبر ان الامور سائرة من رديء الى اردأ فالمعارك شرقي باريس ستكون نتيجتها علينا . ما اشد الفرق بين الاحوال الآن وما كانت عليهِ حينما شرعنا في الحرب والنصر حليفنا . سنضطر ان نوفي ما اتلفناهُ

مات ملتكي قبلما رأى اندحار الجيش الالماني اما كنراد فرأى تمزق بلاده واندحار جيشها انتهى باختصار كثير

ومما يجري هذا المجرى ما جاء في مجلة دنماركية وهو ان الجراح الدنماركي الشهير الاستاذ توركلد روفستج جاء برلين في ابريل سنة ١٩١٤ للاشتراك في المؤتمر الطبي فجعل الذين يعرفهم من الاطباء يأخذونهُ جانباً الواحد بعد الآخر ويكلمونهُ مظهرين حبهم للدنمارك وان المانيا عازمة ان ترد اليها شمال شلزوغ . وكان لهُ صديق في المانيا وهو جنرال من اصل دنماركي فمضى اليهِ وقال لهُ هل نحن قادمون على حرب . فبهت الجنرال وقال نعم ومن اخبرك بذلك فقص عليهِ ما سمعهُ من الاطباء . فقال نعم وقد طُلب من الاطباء ان يتوددوا الى وصفائهم من اطباء الدنمارك وان تبذل كل الوسائل لاكتساب صداقة الدنمارك حتى تبقى على الحياد وقت الحرب ان لم تشترك مع المانيا فيها فسألهُ الجراح عن السبب الذي يحمل المانيا على الحرب فاجابهُ ان الضرورة تدعو الى ذلك فان الدولة الروسية قررت انشاء سكة حديد حربية في بولونيا ومتى تمت هذه السكة بعد سنة او سنتين لم يبقَ لالمانيا امل بالفوز اذا حاربتها روسيا وفرنسا لانها تهاجَم حينئذٍ من جهتين . وبغير هذه السكة لا تستطيع روسيا ان تزحف بجيوشها في اقل من شهرين فتكون قد قضينا على فرنسا ثم نعود الى روسيا ونذحرها ولذلك لا بدَّ لنا من ان نشهر الحرب عليها وعلى فرنسا بعد شهرين من الزمان

وعاد الاستاذ روفستج الى برلين في شهر يونيو وسأل صديقهُ الجنرال كيف ان الحرب لم تعلن كما انبأهُ قبلاً فقال لهُ ان رؤساء اركان الحرب لقيت من الامبراطور مقاومة لرأيها لم تكن تنتظرها ولكنها بذلت جهدها لاقناعهِ والمرجح ان تشهر الحرب بعد وقت قصير . انتهى وهذا يطابق رواية نشرناها في المقتطف في اوائل الحرب وفيها ان الامبراطور قال لولي عهدهِ اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرب سفالك الدماء كاتيلا واذا دارت الدائرة عليَّ فانك لا تملك بعدي